قصة السلطة مع الزنزانة وقصة الشيخ عيسى المؤمن مع القضبان، قصتان تنفرد كل قصة بأرضها وبنوعها وبفرادتها، لكن تتسق القصتين مع نظم الديكتاتورية في علاقتها مع الضحية، السلطة تعتمد على الزنزانة بوصفها وعاءً يخفي قبح جوهرها، الصورة الخارجية أنها دولة حديثة وحيوية وفيها مساحة من الحرية المدعاة، وما أن يخرج من يقول لا لهذه الصورة الكاذبة، فالوعاء/السجن جاهز لإخفاء ذلك الصوت الذي يسعى لإظهار الوجه الحقيقي المخفي تحت مكياج البنايات والفنادق الفارهة والمنتجعات التي تعج بالأثرياء، هذا الوعاء السلطوي والتي تحتاجه السلطة ولّد قصصاً تنفرد كل قصة بتفاصيلها الخاصة، هي تلك المتعلقة بالشيخ عيسى المؤمن، الشيخ الذي دخل الوعاء مرات عديدة، لكن جرأة الشيخ كانت أكبر من أن يستوعبها ضيق ذلك الوعاء، وقد نظّر المفكر الفرنسي ميشيل فوكو عن السجن بأنه أداة للتوجيه والضبط، أي أن السجن-بحسب فوكو-ليس مكاناً لحبس الجسد فقط بقدر ما هو مكاناً لإعادة صياغة التفكير، سواء بأساليب توجيهية لينة (كالسجون الغربية)، أو بالطريقة الخشنة التي تستخدم الضغط والتعذيب لإجبار القناعة بتبني حالة معينة حتى لو لم تقتنع بها. الشيخ المؤمن دخل السجن عدة مرات، لكن لم يثنيه ذلك عن أداء تكليفه الديني (الذي يراه بحسب وظيفته الشرعية كونه رجل دين)، وهنا لابد من تلمس ملامح قصة السجن للشيخ والتي حاولت السلطة في رسمها بريشة الديكتاتورية، فغلبها المؤمن برسمها بريشة شجاعته، فغلب لون الكرامة ألوان القهر والجبر، وعليه أبطل الشيخ كل مفاعيل السجن التي كانت السلطة تريد أن تمضيها عليه. إذن اعتقل الشيخ في منتصف عاشوراء، وقد يفرج عنه بعد أيام وقد تبقيه السلطة لمدة أطول، الريشة التي ترسم سرديتها واحدة، وعليه فإن معطاهما يصدران سلوكاً وطريقة تفكير ونهج حياة، وهذا يشكل مدى الصبر على مر المخزون القمعي القبيح الممارس ضد الناس. لكن ما أهمية أخذ نموذج الشيخ المؤمن في كيفية رسم سرديته؟ قد يقال مثلا أن التعرف على ذلك معلومة جيدة، الأهمية الوطنية أن الظروف والبيئة والأحوال التي خلقت ريشة الشيخ عيسى المؤمن، هي ظروف وبيئة وأحوال تحيط بالكثير منا، فأهمية التعرف على قصته، هي أهمية التعرف على التقنية التي استخرجت هذه النوعية من الروحية في مواجهة أعاصير القمع، من نفس العوامل الموجودة في بيئة المعارضة، ومن المهم التعرف على معالم بنيتها الدينية التي تمدها بالنفس الطويل.

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي